

## الغناء ومظاهر التحضر في العصر الجاهلي



د. يوسف عبد القادر الرشيد (\*)

### مقدمة :

يشكل العصر الجاهلي أي فترة ما قبل الإسلام حقبة تاريخية شديدة الغموض بالنسبة للباحثين الموسيقيين؛ وذلك لوعورة مسالكه وشتات حوادثه وتناقض أحاديثه الفنية الغنائية . فإن اتفق مرجعان على نقطة ما اختلف عنهما المرجع الثالث ساق الحديث بشكل يثير الحيرة والشك في مصداقية الحدث نفسه . أو كانت المبالغة والتضخيم في وصف الحدث؛ من حيث إنه لدى بعض مؤرخي العرب تجعل المتابع يميل إلى ناحية الشك أو الحيرة في تصديق ما بين يديه، كما أن معظم مؤرخي العرب ممن تناول الغناء في هذا العصر يمر على الحدث مرور الكرام دون الوقوف عنده والتريث؛ بحيث نقطة ما حول موضوع معين .

ولم يعرف السبب في العجلة والقفز بشكل قد يكون مفاجئاً من هذا العصر إلى عصر ما بعد الإسلام . فقد يكون العصر الجاهلي قليل الحوادث المهمة بالنسبة لموسيقى هذا فلا تستحق الذكر . أم أن التهييب من الخوض في مجاهل هذا العصر فرض على المتابع البعد عنه ؟ . أم أن الرغبة في تجاهل ذلك

(\*) أستاذ مساعد بكلية التربية الأساسية - بدولة الكويت .

العصر والبعد عنه تشكل حالة نفسية على أساس أن هذه الفترة تعد مرحلة كفر وإلحاد لا ينبغي تذكرها بأي شكل من الأشكال ؟ . خاصة أن تاريخ هذه الفترة كان تاليًا لها على يد المسلمين، الذين كان نقلهم للحدث إما شفاهة مثلما جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي استعمل أسلوب (أخبرني فلان قال ... حدثنا فلان عن فلان قال ... سمع فلان يقول ... الخ ) أو نقلًا من مصدر مكتوب، كأن يقول : (نكر في كتاب فلان نقلًا عن فلان أن الموضوع كذا ... الخ) . وهذا في واقع الأمر هو الأسلوب المتوقع لنقل حوادث العصر الجاهلي ولا سبيل لغيره، أي أن هذا العصر لم يكن به من يسجل حوادثه أو أننا إلى هذه اللحظة لم يظهر لنا مخطوط كتب في ذلك العصر يكشف لنا عن حوادثه الموسيقية بشكل يرفع عن كاهل الباحثين مشقة التدقيق ومتابعة الحدث لنهايته، أو على أقل تقدير لم يعثر الباحث على أي مدونة تدل على أنها كتبت في ذلك العصر . خاصة أن هذا العصر حتى فترة ظهور الإسلام لم يكن العرب يجيدون الكتابة والقراءة إلا القليل منهم، وعلى هذا فإن الرسول (ص) كان يفرض على من وقع في الأسر من النزميين أن يفدي نفسه بتعليم أحد العرب الكتابة والقراءة . وعلى ذلك فإن الباحث في هذا العصر لا يجد أمامه من المصادر التي يمكن الركون إليها إلا نوعية الشعر الجاهلي الذي يشكل المصدر الوحيد الصادق الذي يمدنا بالكثير من الحقائق والحوادث التي تمس ذلك العصر، ففيه الوصف الكامل لمجالس الطرب وأصوات المغنين وأنواع آلتهم الموسيقية وأسلوب غنائهم وطرقهم؛ الأمر الذي قد يعزز عرض الباحث لنقطة ما من المصادر العربية التي تتحدث حول النقطة نفسها .

### مشكلة البحث :

يعد الغناء بوجه عام مرآة لحضارة الأمة تعكس بشكل مباشر ثقافة المجتمع وأبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وقد أخذت الموسيقى العربية بوجه عام مراحل عدة لتصل إلى ما وصلت إليه من تقدم ورقي شكل علامة من علامات التحضر في العالم العربي . ففي الدولة الأموية ومن ثم الدولة العباسية كان الغناء سمة من سمات بلوغ الكمال في أنواعه وأشكاله، الأمر الذي يوحى للمتابع بعظمة الدولة العربية من حيث بلوغها كمال التحضر في الثقافة والعلم والأدب والفن . إلا أن المنطق والعقل يقول إن هذا الغناء إن لم يكن له أساس قوي منذ بدايته لما وصل إلى ما وصل إليه من تقدم ورقي في أنواعه وأشكاله .

تشير بعض المراجع التي تتحدث حول الغناء عند العرب في زمن ما قبل الإسلام، إلى أن الغناء في هذه الآونة غير واضح المعالم والتكوين . وقد لاحظ الباحث أن هناك نوعاً من الخلط وعدم وضوح الرؤية حول حال الغناء في هذه الحقبة من التاريخ، الأمر الذي دفعه إلى إعادة قراءة هذه الحقبة من التاريخ العربي؛ محاولاً بذلك أن يصل إلى أسس أكثر وضوحاً حول مستوى ثقافة العرب في جاهليتهم من خلال تتبع فنونهم الغنائية .

### الهدف من البحث :

عملاً بحكمة الفيلسوف الصيني كونفوشيوس :

(إذا أردت أن تتعرف في بلد على نوع إدارته ومبلغ حظه من المدنية فاسمع موسيقاه) <sup>(١)</sup> .

سيحاول الباحث من خلال هذه الدراسة أن يصل إلى معرفة نوع الإدارة لدى القيادات العربية في ذلك الوقت، والتعرف على المستوى الثقافي والحضاري الذي كان عليه عرب الجاهلية . ثم التعرف على أنواع الفنون

<sup>(١)</sup> [WWW.Google.com](http://WWW.Google.com) الموسوعة الحرة ويكيبيديا كونفوشيوس .

الغنائية عند العرب بغية الوصول إلى البدايات وأصول الغناء العربي، والآلات الموسيقية المرافقة له .

### افتراضات البحث :

من خلال مشكلة البحث والهدف منه يطرح الباحث بعض الافتراضات :

١- أن عرب الجاهلية لهم من الثقافة والأنظمة السياسية ما يجعلهم يتعايشو مع الحضارات القائمة آنذاك .

٢- أن الحدااء هو أصل غناء العرب .

٣- أن الحدااء ضرب من أنواع الغناء الشعبي .

٤- أن العرب منقسمون إلى قسمين :

- عرب رحل وهم عرب البادية والبدو .

- عرب الحضر وهم سكان المدن .

٥- أن العرب لهم من الآلات الموسيقية التي تجاوزت مرحلة النشوء .

### حدود البحث :

#### الحد المكاني : جزيرة العرب

حدودها الطبيعية أربعة : شرقي شمالي يبدأ في الجنوب بخليج فارس من شواطئ عمان فالبحرين إلى مصب الفرات وجلة ثم على طول الفرات إلى أعالي سوريا . وغربي شمالي يمتد من الفرات شرقي سوريا وفلسطين إلى خليج العقبة . وشرقي جنوبي على طول البحر الأحمر إلى باب المندب .

وجنوبي غربي هو بحر العرب على شواطئ اليمن وحضرموت والشحر إلى شواطئ عمان<sup>(١)</sup>.

### الحدود الزمنية :

من القرن الخامس الميلادي إلى ظهور الإسلام

حقيقة الأمر أنه من الصعوبة بمكان أن يحدد الباحث بداية الحقبة الجاهلية بشكل دقيق لهذه الدراسة، وذلك للعمق التاريخي الطويل في الجزيرة العربية مع عدم وجود تاريخ محدد لمعظم شخصيات هذه الدراسة في المراجع العربية . إلا أن من المناسب أن تنحصر هذه الدراسة في فترة زعامة قريش وجعل المرجعية الأولى لها من قبل عرب الحجاز . وذلك لعدة أسباب من أهمها :

- ١- ورود ذكر قريش في سورة رقم ١٠٦ من القرآن الكريم .
- "إِلِيلَافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ"
- ٢- كون هذه المرحلة مهمة في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ لاحتوائها على خلاصة ما توصل إليه العقل العربي في زمن ما قبل الإسلام .
- ٣- تسلسل أنسابها الواضح وظهور رسول الله محمد (ص) منها .

### منهج البحث :

يتبع الدراسة التاريخية .

(١) العرب قبل الإسلام : جرجي زيدان : منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م ، ص

### مصطلحات البحث :

تناول الباحث من خلال هذه الدراسة العديد من المصطلحات التي تبدو في ظاهرها بعيدة عن موضوع البحث، إلا أنها في حقيقة الأمر ترتبط بشكل مباشر بتصميم هذه الدراسة . فهي تعرض مفاهيم تتعلق مباشرة بطبيعة البشر وما يعترئها من أحوال ومعاملات ، ومن أبرز تلك المفاهيم :

### مفهوم السياسة :

يقصد بالسياسة أنها فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة، وواجهة العلاقة بين الحاكم والمحكوم <sup>(١)</sup> ز

### مفهوم الحضارة :

اشتقت الكلمة من التحضر، وتعني مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم الثقافي . وهي تتألف من عناصر عدة مجتمعة لتكمل بعضها البعض يختار الباحث منها :

١- النظم السياسية .

٢- الموارد الاقتصادية .

٣- متابعة العلوم والفنون <sup>(٢)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> موسوعة السياسة : عبد الوهاب الكيالي وآخرون الجزء الثالث : دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م ، ص ٣٦٢ .

<sup>(٢)</sup> قصة الحضارة : ول ديورانت : ترجمة زكي نجيب محمود : الجزء الأول ، المجلد الأول : دار الجيل ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ، بيروت ، ص ٣ .

### مفهوم القومية :

القومية في اللغة تعني جماعة تجمع بينهم رابطة معينة . ويرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة من حيث الانتماء إلى أمة محددة . والأمة هي الشعب ذو الهوية السياسية الخاصة الذي تجمع بين أفرادهِ روابط موضوعية وشعورية وروحية متعددة تختلف من شعب لآخر مثل اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ والحضارة <sup>(١)</sup> .

### مفهوم الثقافة :

الثقافة هي الإرث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع، ويتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي، ويتجسد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم والحس الجمالي .. الخ ، والشق الثاني يتكون من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني (الأدوات والآلات) والبيوت وأماكن العمل والسلاح .. الخ <sup>(٢)</sup> .

وثقافة الشعوب في ذاتها تعد مرآة تعكس من خلالها سياسة الدولة .. ليس فقط من الناحية الموسيقية، بل من جميع نواحي الحياة اليومية، وإن صلحت سياسة الحاكم لقومه أدى ذلك إلى ظهور التحضر والثقافة والحضارة.

(١) موسوعة السياسة : مرجع سابق ، ص ٨٣١ .

(٢) المرجع السابق : ص ٨٤٤ .

### نبذة تاريخية حول الحدود الزمنية لموضوع الدراسة :

ذكر الباحث أنفاً أن الحدود الزمنية لهذه الدراسة تنحصر في قریش<sup>(٣)</sup> حيث تشكل فروعها النسب الأخير لبني إسماعيل<sup>(٣٣)</sup> عليه السلام قبل ظهور الإسلام، حيث أنزلت الرسالة وبها انتهى العصر الجاهلي . وعليه تم اختيار هذه الفترة على أساس أنها تحتوي خلاصة ما أنتجه العقل العربي في القرون السابقة لظهور الإسلام . فعندما انتقلت السيادة على مكة من خزاعة<sup>(٣٣٣)</sup> إلى قریش في القرن الخامس الميلادي على يدي قصي بن كلاب، كانت قریش على درجة من الرقي، حيث عظم نفوذها وكانت بمثابة الحكومة التي تدير أعمال الدولة يرأسها قصي بن كلاب، فاجتمعت لديه السقاياء والحجابه والرفادة واللواء<sup>(١)</sup> . وبني دار الندوة ليجتمع فيها الرؤساء فيتشاورون ويعقدون انكحتهم وألويتهم ويفصلون في خصوماتهم ويختنون غلماتهم . ولما توفي قصي ورث أبناؤه هذه المناقب إلى أن وصل الحكم إلى هاشم، ثم إلى عبد المطلب سنة ٥٢٠م، وكان الذي تولى بعد قصي هو ابنه عبد الدار، وبعد خصومات كثيرة بين سلالة قصي وزعت السلطات الدينية والسياسية في مكة على بطون قریش منعاً للتنازع والاختلافات كما يلي :

(٣) اختلف النسابون في اسم قریش : فمنهم من قال: هو قریش بن كنانة من نسل عدنان . ومنهم من قال: إن قریش لقب للنضر بن كنانة ومنهم من قال: إنه لقب لفهر بن مالك بن النضر بن كنانة . ومنهم من قال إن بني النضر بن كنانة سموا قریشاً لتقرشهم (أي تجمعهم) في أيام قصي بن كلاب النضري .

(٣٣) هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن أزر من نسل سام بن نوح رأس العريية الثالثة المعروفة بالمستعربة .

(٣٣٣) خزاعة : قبيلة من الأزدي، من القحطانية وهم بنو عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارث ابن عمرو مزريقاً . منازلهم : كانوا بلحاء مكة في مر الظهران، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : عمر رضا كحالة: مؤسسة الرسالة بيروت : الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٥م ، الجزء الأول، ص ٣٣٨ .

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الدكتور/ حسن إبراهيم حسن : دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤م : الجزء الأول ، ص ٦٤ .



- ١- السدنة : هي خدمة الكعبة وحجابتها .
- ٢- السقاية : هي سقي الحجاج بجلب الماء على الإبل من الآبار العذبة.
- ٣- الرفادة : هي ما كانوا يخرجونه من أموالهم ليرفد به من ليس ذا سعة ولا مال .
- ٤- الندوة : الإشراف على دار الندوة .
- ٥- العقاب : هي راية قریش يخرجها من هي عنده وقت الحرب .
- ٦- المشورة : صاحبها يستشار في الأمور المهمة، وكانت قریش لا تقر أمراً حتى تعرضه عليه .
- ٧- الاشناق : هي الديات والمغارم .
- ٨- القبة : هي الخيمة التي تودع فيها أدوات الحرب .
- ٩- الأعنة : هي تولي أمر الخيل وقت الحرب وإدارة شؤونها .
- ١٠- السفارة : هي التوسط بين قریش وغيرها عند الحرب والسعي في الصلح .
- ١١- الأيسار : هي تولي أمر الأزام .
- ١٢- الحكومة والأموال المحجرة : أي الفصل بين المتخاصمين وحفظ الأموال التي كانوا يسمونها لآلهتهم .
- ١٣- العمارة : هي الإشراف على المسجد الحرام <sup>(١)</sup> .

<sup>(١)</sup> قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي : عبد الله عبد الجبار وآخرون : الناشر مكتبة

الكلية الأزهرية: مطابع دار الشباب سنة ١٩٨٠م ، ص ١٣٢

ففي مثل هذا النظام الخاص بتقسيم المسؤولية فيما بين رجالات القبيلة التي تعد بمثابة الوزارة بوزرائها الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية تسيير أعمال القوم، يتضح للباحث أن هناك نظاماً راقياً يتناسب ومتطلبات ذلك العصر لا يمكن الخروج عنه أو التعدي على اختصاصات الغير . وعليه فإن هذا النظام يشكل السياسة التي اتبعتها القيادة على مستوى الحجاز من خلالها طبقت الشق الأول من أصول قيام الحضارات . أما الشق الثاني، وهو الموارد الاقتصادية، فإن حكومة قريش - هذا إن جاز للباحث أن يطلق عليها صفة الحكومة - قد فتحت مجال الاستثمار والتجارة لكل من لديه القدرة على ذلك . إلا أن تجارتهم هذه في بداية الأمر لم تتجاوز مكة، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ويبيعونها إلى من حولهم من العرب . فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف <sup>(\*)</sup> إلى الشام <sup>(١)</sup> فنزل بقصر فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون، وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم فذكر ذلك لقيصر فقيل له: ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم، فدعا به قيصر فلما رآه وكلمه أعجب به؛ فكان يبعث إليه

(\*) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة : من قريش : أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي (ص) قال مؤرخوه: اسمه عمرو وغلب عليه لقبه "هاشم" لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات . وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة : رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ورحلة الصيف إلى غزة وبلاد الشام، وربما بلغ أنقرة . وهو الذي أخذ الحلف من قيصر لقريش على أن تأتي الشام وتعود منها آمنة . وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم . ولد بمكة وساد صغيراً قتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفاقته (وهي إطعام الفقراء من الحاج) ووفد على الشام في تجارة له، فمرض في طريقه إليها، فتحول إلى غزة في فلسطين فمات فيها شاباً (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي : الجزء الثامن ، ص ٦٦) .

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : الدكتور جواد علي : مطابع دار العلم للملايين ، بيروت، الناشر مكتبة النهضة ، بغداد ، الجزء الرابع ، ص ٦٧ .

في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه، فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له: أيها الملك إن قومي تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدمون عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، فتباع عندكم فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف إنما هو أمان الطريق، وعلى أن قريشاً تحمل إليهم بضائع فيكفونهم حملاتها ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فاتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجوزهم ويوفيههم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه نقطة البداية للانفتاح الاقتصادي على العالم الخارجي كما نسميه اليوم، حيث بدل وغير أسلوب تجارة مكة بأن جعل لها قوافل ضخمة تمر بأمن وبسلام في مختلف أنحاء الجزيرة فجاءت إليها نتيجة لذلك بأرباح كبيرة<sup>(٢)</sup> . وبهذا تكون قريش قد حققت الشق الثاني من أصول قيام الحضارات . أما الشق الثالث وهو متابعة العلوم والفنون، فإن العلوم بمعناها المطلق ومفهوم اليوم لم يكن له وجود إلا ما احتيج إليه لضرورة الحياة، كالطب الذي برع فيه واشتهر منهم النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي<sup>(٣)</sup> . أما الثروة الزراعية والحيوانية، فإنه بالإضافة إلى منتجات الأحرار من الفحم في

(١) الأمالي في لغة العرب : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي : دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٧٨م، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٩ .

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة : دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٧م، الجزء الثاني، ص ١٩ .

شمال الحجاز والأخشاب في جبل كرا غربي الطائف توجد وفرة من المحاصيل الزراعية المهمة من التمر والذرة والقمح والفواكه والخضراوات<sup>(١)</sup>.

أما الغناء والفنون موضوع هذه الدراسة، فإن عرب الحجاز قد تفتنوا وأجادوا فيما صنعوا . وهذا ما أظهرته بأحسن صورها فلسفة العلامة العربي ابن خلدون حين قال :

"وإذا ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في العمران إذا توفر وتجاوز حد الضروري إلى الحاجي ثم إلى الكمالي، وتفتنوا فيه، فتحدث هذه الصناعة لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره، فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفتنًا في مذاهب الملذذات ... وهذه الصناعة - يقصد الغناء - آخر ما يحصل في العمران من الصنائع، لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح"<sup>(٢)</sup>.

إن وجود الفنون الموسيقية مرتبط بكمال العمران في الدولة، وابن خلدون عندما أتى على ذكر العمران في الدولة ، فإنه يقصد اكتمال عناصر التحضر من مؤسسات ترعى شئون المجتمع في شتى مشاربه ليظهر لنا بعد ذلك العلم والأدب والفنون والثقافة نتيجة الاستقرار الذي وفرته الدولة . وهذه العناصر لا يمكن لها أن تعيش وتترعرع إلا بالتلفات الدولة لها عن طريق رعاية العلماء والأدباء والفنانين، ولا يمكن للدولة أن تلتفت لهذه العناصر إلا عندما تكتمل لديها سبل الاستقرار السياسي والاقتصادي، فبدون استقرار الدولة بشكل عام لا يمكن للحضارة أن تزدهر وتظهر لتسود العالم .

(١) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي : مرجع سابق ، ص ٣٤ .  
(٢) مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون : المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٦٣ .

ويسترسل في مقدمته فيذكر ما نصه :

"وهو أيضًا - يقصد الغناء - أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه" <sup>(١)</sup> .

وهنا قصد ابن خلدون أن اختفاء الغناء بالدولة مرتبط بمدى تدني المستوى الإداري والسياسي فيها؛ مما ينعكس بدوره على المجتمع، أي أن حالة تدني مستوى الاستقرار السياسي والاقتصادي بالدولة سيؤدي حتمًا إلى تدهور المستوى المعيشي للمجتمع أيضًا ، ومن ثم يلحقه تدني مستوى الحضارة القائمة .

إن ابن خلدون وكونفوشيوس قد جعللا الموسيقى والغناء بمثابة المؤشر البياني الذي يقاس من خلاله تقدم الأمم أو تأخرها ثقافيًا وحضاريًا، والموسيقى العربية على مر العصور قد تبنت فكرة أن تكون هي نفسها ذلك المؤشر ، حيث عبرت عن هذه الفكرة في الكثير من المواقف ومحطات تاريخها الطويل. فقد كانت ولا زالت المؤشر البياني الواضح والمعبر عن سياسات العالم العربي، سواء كان في التاريخ القديم أم التاريخ الحديث .

### بداية ظهور الغناء عند العرب :

هناك شبه تشويه لهذا العصر؛ وذلك بغية إظهاره بمظهر التخلف والبعد عن التحضر لدى عرب ما قبل الإسلام، حيث يتم التركيز على البدو الرحل وترك عرب أهل القرى وسكان الحواضر . علمًا بأن عرب الجزيرة ينقسمون إلى ثلاثة مجتمعات تختلف عن بعضها من أوجه عدة . فقد كان من العرب قبائل بادية هم أهل الوبر يحيون حياة الرعاة المتنقلين لا يستقرون في موطن وإنما ينتجعون الكلأ ويردون مواقع الماء . ومنهم أهل قرى وسكان الحواضر وكانوا يحيون حياة مستقرة ثابتة يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والماشية،

(١) المرجع السابق : ص ٧٦٦ .

وكان منهم من يضرب في الأرض للتجارة فيتصل بغيره من الأمم ويوصلهم بأمته <sup>(١)</sup> . فهذه الأنماط البشرية الثلاثة لا شك أن بينها اختلافات في طريقة العيش وسبل التواصل مع الغير، وأن الرقي الحضاري فيما بينها يكون متفاوتاً، ولا شك أن الفرق بين البدوي الغليظ الجافي في الصحراء، والتاجر المترف الثري في مكة أو الطائف فرق واسع، ولا شك كذلك أن الغناء كان لابد له أن يختلف باختلاف ظروف هؤلاء العرب من الاستقرار والحضارة، وكان لابد وفقاً لذلك أن ينشأ ضربان عامان من الغناء: ضرب بسيط ساذج يتخذ أولئك الأعراب في البادية يحدون به إبلهم ويترنم به رعياتهم، ونوع فني راق يليق أن يستمتع به سكان الحواضر وأمهات القرى، ففي حديث نائل مولى عثمان قال : قلنا لرباح بن المغترف : غننا غناء أهل القرار - أي أهل الحضر المستقرين في منازلهم - لا غناء أهل البدو الذين لا يزالون متنقلين <sup>(٢)</sup> .

ورباح هذا يجيد الحدا والغناء، فقد روى نائل أيضاً أنه خرج في ركب مع عمر وعثمان وابن عباس، وكان مع نائل رهط من الشبان فيهم رباح بن المغترف فسألوه ذات ليلة أن يحدو لهم، فأبى وقال مستكراً : مع عمر !!! قالوا : أخذ فإن نهاك فانتته، فحدا، حتى إذا كان السحر قال له عمر: كف فإن هذه ساعة ذكر . ثم كانت الليلة الثانية فسألوه أن ينصب لهم نصب العرب، فأبى وأعاد استكاره بالأمس قائلاً : مع عمر !!! قالوا له كما قالوا بالأمس : انصب فإن نهاك فانتته . فنصب لهم نصب العرب ، حتى إذا كان السحر قال له عمر: كف فإن هذه ساعة ذكر، ثم كانت الليلة الثالثة فسألوه أن يغنيهم غناء القيان، فما هو إلا أن رفع عقيرته بغنائهن حتى ناهى عمر وقال له : كف فإن هذا ينفر القلوب <sup>(٣)</sup> .

(١) القيان والغناء في العصر الجاهلي : ناصر الدين الأسد : الناشر دار المعارف، الطبعة

الثانية سنة ١٩٦٨م ، ص ١٢١ .

(٢) لسان العرب : ابن منظور : دار المعارف، الجزء الخامس، ص ٣٥٧٩ .

(٣) القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق : ص ٩٧ .

ثم هناك حادثة شبيهة بحادثة رباح، بطلها سعيد بن مسجح يرويها لنا أبو الفرج الأصفهاني<sup>(١)</sup> ، هذا ملخصها "شكا أحدهم إلى عبد الملك بن مروان أن رجلاً أسود يقال له سعيد بن مسجح أفسد فتيان قریش، فطلب حضوره إلى الشام ... فبعد أحداث وحوار طويل ذكره الأصفهاني، تمت قابل عبد الملك بن مروان وقال له : أخذ مجداً ثم قال له: هل تغني غناء الركبان ؟ ، قال: نعم قال غنه فغني فقال له: فهل تغني الغناء المتقن ؟<sup>(٢)</sup> . قال: نعم قال غنه فغني اهتز عبد الملك طرباً ثم قال له: من أنت ويلك قال له: أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح، فتبسم عبد الملك ثم قال له: قد وضع عذر فتيان قریش في أن ينفقوا عليك أموالهم وأمنته ووصله وكتب إلى عامله برد ماله عليه وألا يعرض له بسوء .

ومن أنواع الغناء السابق ذكره (الحداء - النصب - غناء القيان - الغناء المتقن) يتضح أن للعرب أربعة أنواع أساسية، ولكن ما الأصل فيما بين الأربعة؟ وأيهما يسبق الآخر في الظهور؟ .

يرى الباحث أن هناك اختلافاً بين المراجع العربية حول هذه النقطة على النحو التالي :

- ١- منها من يضع الحداء في مقدمة تلك الأنواع<sup>(٣)</sup> .
- ٢- منها من يضع النصب على أساس أنه مشتق من الحداء<sup>(٤)</sup> .
- ٣- منها من يعد النصب كقنطرة فيما بين الحداء وغناء القيان<sup>(٥)</sup> .

(١) الأغاني : أبي الفرج الأصفهاني : تصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي : مطبعة التقدم، الجزء الثاني، ص ٨١.

(٢) المتقن صفة تطلق على نوعية الغناء الذي ظهر متأخراً بعد الإسلام .

(٣) مروج الذهب : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ م ، الجزء الرابع، ص ١٣٣ .

(٤) القيان والغناء في العصر الجاهلي : نقلاً عن العمدة لابن رشيق، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

ومن الآراء الثلاثة هذه لا بد من أن يكون منهم واحد هو أصل الغناء، خاصة إن أخذنا بعين النظر حادثة مضر بن نزار <sup>(٢٢)</sup> إذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول: "وايداه وايداه" وكان من أحسن خلق الله صوتاً فأصغت الإبل إليه، وجدت في السير، فجعلت العرب مثلاً لقوله "هايدا هايدا" يحدون <sup>(٢٣)</sup> بها الإبل <sup>(١)</sup>، فكان من ذلك الحداء والرجز <sup>(٢٤)</sup>، وهناك أيضاً حادثة لمضر و غلام له تدور حول نفس الفكرة السابقة يرويها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لمن معه: أتدرون متى كان الحداء؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: إن أباكم مضر خرج في طلب مال له، فوجد غلاماً له قد تفرقت إبله فضربه على يده بالعصا؛ فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت الإبل صوته فعطفت عليه، فقال مضر: لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاماً تجتمع عليه الإبل؛ فاشتق الحداء <sup>(٢٥)</sup>.

هذه الحادثة وغيرها التي اتفق على ذكرها الكثير من المراجع العربية يستوحي الباحث منها أن هناك خلطاً في مفهوم أنواع الغناء عند عرب الجاهلية، وذلك أن بجانب الغناء الذاتي أي الملحن هناك أيضاً غناء نستطيع أن نطلق عليه غناء شعبيّاً يدخل في نطاق علم الفولكلور الشفاهي بمفهوم هذا

<sup>(٢٢)</sup> هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، جد جاهلي من سلسلة النسب النبوي، من أهل الحجاز، الأعلام، الجزء السابع، ص ٢٤٩.

<sup>(٢٣)</sup> جاء في لسان العرب تحت مادة حدا ص ٨٠٧: حدا الإبل وحدا بها يحلو حدوا وحدا ممدودة زجرها خلفه وساقها والحدو سوق الإبل والغناء لها.

<sup>(٢٤)</sup> تاريخ أداب اللغة العربية: جرجي زيدان: مطبع دار الهلال سنة ١٩٥٧م، الجزء الأول، ص ٦٤.

<sup>(٢٥)</sup> الرجز بفتحين ضرب من الشعر: مختار الصحاح، ص ١٣٧، وسمي رجزاً للتقارب أجزائه وقلة حروفه لسان العرب، ص ١٥٨٧.

<sup>(٢٦)</sup> المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الإشبهي المحلي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأخيرة سنة ١٩٥٢، الجزء الثاني، ص ١٦٥.



العصر ، وهو يتنقل من جيل إلى جيل<sup>(١)</sup> . على أن يكون واضعه غير معروف أو أنه اختفى من ذاكرة المجتمع لتقدم الزمن، ويذكر الأبشيهي في المستطرف<sup>(٢)</sup> بقوله: "ألا ترى إلى أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان واستراحت إليها أنفسهم" .

والعربي في الجزيرة له من الحرف ما يظهر فيها هذا النوع من الفنون بشكل طبيعي تتطلبه نوعية الحرفة، ومن أهم تلك الحرف لدى عرب الجزيرة رعي المواشي والأغنام والجمال، وما غناء الحداء إلا ضرب من أنواع الغناء الشعبي قد استلهمه عرب الجزيرة من سير الجمال في الشعاب والوديان والقفار، وما أحوجه في هذه الرحلات المضنية إلى وسيلة تسلية وتسري عنه وتشد همته وهمة راحلته على المضي إلى الغاية والهدف البعيد<sup>(٣)</sup> . فحضر ابن نزار في إحدى رحلاته الشاقة وقد أضناه طول السفر، إذا به يتفوه بهمة تخفف عنه الارتحال، وإذا هذه الهمة تتميز شيئاً فشيئاً في نبرات متساوية، ثم يكرر ذلك على إيقاع الأخفاف<sup>(٤)</sup> ويشعر براحة نفسية لهذه الحركات، ثم ما يلبث حتى تسعفه قريحته بكلام ينظم ذلك الضرب من الإيقاع، وإذا هو يخترع الرجز أول أوزان الشعر<sup>(٥)</sup> .

فإن كان مضر قد اخترع الرجز ولاحظ راحلته تجد في السير طرباً لسماع رجزه . أو ملاحظته عند صياح الغلام وتجمع الإبل عند سماع صياحه، فإن هذه الحكايات حول مضر قد تكون الأولى التي تدل على ملاحظة العربي تأثر الجمال عند سماع الغناء، لا أن يكون مضر هو من اخترع الحداء .

(١) علم الفولكلور : الدكتور/ محمد الجوهري : دار المعارف ، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٨م، الجزء الأول ص ٣٧.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف : الجزء الثاني ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٣) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص ٥٦٦ .

(٤) جاء في لسان العرب ص ١٢١٣، تحت مادة خفف : (الخف) واحد و (أخفاف) البعير وهو للبعير كالحافر للفرس .

(٥) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٥٦٧ .

وعليه فإن العرب عند ملاحظتهم هذه استعملوا الحداء بشكل قد أعطى هذا النوع من الغناء الخصوصية للجمال، وقد يكون للحداء وجود قبل مضر وقبل هذه الحادثة التي وقعت له، إلا أن التاريخ قد أغفل ذكر هذه الفترة، وسجلت حوادث مضر وغلّامه على أساس أنها أقدم معلومة قد وصل إليها مؤرخو العصر الجاهلي حول هذا النوع من الغناء عند العرب .

وللحداء أيضاً وظيفة أخرى غير وظيفة سوق الأبل، وهذه الوظيفة ترتبط وحالات الحرب والغزوات، حيث أوردها يوسف دوخي <sup>(١)</sup> إذ قال: ... فقد يتناول البدوي غناؤه بطريقة تجعل شعوره مستمراً ومتوجّحاً حيثما أراد، وفي مسافة محدودة من الأصوات وبطريقة ساذجة قد لا تزيد على أربع أو خمس درجات صوتية تخضع كل منها لنبرات معينة، يحدونها عند الذهاب إلى المعارك والحروب تنشد الجماعة ويردده الباقون من حولهم بالأسلوب والسرعة وتكرار اللحن نفسه بحسب الأبيات المنشدة .

ثم يستطرد بقوله: ... ونوع آخر من الحداء لا يرتبط بإيقاع معين، وإنما هو مرتبط بالحركة والإشارة إلى الطرف الآخر تارة بالسيف وتارة بالكر والفر والإرهاب والتخويف للعدو من التقدم .

إنّ الحداء غناء قديم ومتنوع يتغنى به الأعراب في حروبهم وغزواتهم وسفرهم وخلواتهم، والاختلاف فيما بين هذه الوظائف تكمن في الهدف من الغناء إن كان للسلم أو الحرب، وعليه فإن الحداء بأنواعه قديم قنم العرب في الحجاز لا يعرف مدى قراره في الجزيرة العربية، الأمر الذي يرجح فكرة أن يكون من أنواع الفنون الشعبية المرافقة لأنواع الأعمال التي يطلق عليها الأدب الشعبي صفة "أغاني العمل" <sup>(٢)</sup> التي لا زالت تردد إلى اليوم في

<sup>(١)</sup> الأغاني الكويتية : يوسف فرحان دوخي، منشورات مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، ص ٢٢٨ .

<sup>(٢)</sup> أشكال التعبير في الأدب الشعبي : الدكتورة/ نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤م، ص ٢٣١ .

الجزيرة العربية ودول الخليج العربي تحت مسمى الفنون الشعبية أو صفتها، ومما يؤيد رأي الباحث حول هذه الفنون، ما ذكر الدكتور الأسد<sup>(١)</sup> نقلًا عن مخطوط الإمتاع بأحكام السماع ما نصه "أن الغناء على ضربين : ضرب جرت به العادة أن يستعمل عند مجادلة الأعمال وحمل الأثقال وقطع المفاوز لينشط به كحذاء العرب ... " وأيضًا ما ذكره الدكتور شوقي ضيف<sup>(٢)</sup> حيث قال : وأما الحذاء فيظهر أنه كان غناء شعبيًا عامًا للعرب في العصر الجاهلي يغنون به إيلهم في مسيرهم ورحيلهم .

### الأولوية للحذاء أم النصب :

اطلع الباحث على العديد من المراجع حول الأسبقية في الظهور، فمنها من قال :

- إن الحذاء أول السماع والترجيع في العرب، ثم اشتق الغناء من الحذاء، وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس : الركباني - والسناد الثقيل - والهزج الخفيف<sup>(٣)</sup> .
- إن غناء<sup>(٤)</sup> العرب قديمًا على ثلاثة أوجه : النصب - والسناد والهزج، فأما النصب فغناء الركبان والفتيان<sup>(٤)</sup> .

(١) القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق، ص ٩٧ .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : الدكتور شوقي ضيف: مطابع دار المعارف سنة ٢٠٠٤، الطبعة الثالثة عشرة ص ٥٢ .

(٣) مروج الذهب : مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) ذكر المرجع قصة الحذاء حول مضر ووقوعه من على ظهر الجمل : العمدة ص ٤٧١ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني: منشورات دار ومكتبة الهلال سنة ٢٠٠٢م، الجزء الثاني، ص ٤٧٠-٤٧١ .

- إن الغناء<sup>(٣)</sup> على ثلاثة أوجه: النصب والسناد والهزج، فأما النصب فغناء الركبان و"القينات"<sup>(٣٣)</sup> الفتيان . أما السناد فالتقيل التراجيع الكثير النغمات . أما الهزج فالخفيف كله<sup>(١)</sup> .
- الغناء<sup>(٣)</sup> ومعننه على ثلاثة أوجه : النصب والسناد والهزج، فأما النصب فغناء الفتيان والركبان ، وأما السناد فالتقيل التراجيع الكثير النغمات، وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم<sup>(٢)</sup> .

ومن المراجع التي اعتمد الباحث على ما جاء بها من معلومات حول الحداء والنصب فإنه يعيد ترتيب تسلسل ظهور الغناء العربي على النحو التالي:

الرقم	المرجع	المؤلف	تاريخ الولادة	نوع الغناء				
				١	٢	٣	٤	٥
١	العقد الفريد	ابن عبد ربه	٣٢٨هـ	الحداء	النصب	الركبان	السناد	الهزج
٢	مروج الذهب	المسعودي	٣٤٦هـ	الحداء	النصب	الركباني	السناد	الهزج
٣	المعدة	ابن رشيقي	٤٥٦هـ	الحداء	النصب	الركبان	السناد	الهزج
٤	المستطرف	شهاب الدين الأبهري	٨٥٠هـ	الحداء	النصب	الركباني	السناد	الهزج

- (\*\*) ذكر الحداء عرضاً في موضوع اختلاف الناس في الغناء : العقد الفريد ص ٧ .
- (\*\*\*) قد صحح الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه القيان والغناء في العصر الجاهلي، ص ١٠١ - خطأ قد وقع به الناسخ في كتاب العقد الفريد وأرجع الكلمة إلى أصلها من القينات إلى الفتيان التي ورت خطأ مطبعياً في العقد الفريد .
- (١) العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء السابع ص ٢٣ .
- (٢) ذكر المرجع قصة مضر والغلام حول الحداء نقلاً عن قول للرسول (ص) ، المستطرف في كل فن مستطرف، ص ١٦٥ .
- (٣) المستطرف في كل فن مستطرف : مرجع سابق ص ١٦٥ - ١٧٠ .

ومن الجدول السابق يلاحظ الباحث مدى توافق المراجع التي اعتمد عليها .  
إلا أن الاختلاف يأتي فيما بين نوعي الركبان والركباني من حيث اللغة واللفظ، وبالرجوع إلى لسان العرب <sup>(١)</sup> تحت مادة "ركب" وجد الباحث ما نصه "والركب ركبان الإبل في السفر دون الدواب" على أساس أن الحداء غناء خاص للإبل وركابها هم الركبان مع إضافة حرف الياء بآخر الكلمة "ركباني"؛ ليعطي خصوصية هذا النوع من الغناء للركبان التي تنسحب بدورها لتكون صفة لهذا الغناء تحل محل الحداء .

ومما تقدم يمكننا أن نستخلص التالي :

- ١- إطلاق كلمة حداء أحيانا على الغناء بشكل عام، كأنني أقول (غناء - لتحل محلها كلمة حداء . أو حداء لتحل محلها غناء) ، لذلك نجد إسحاق الموصلي يقول ومنه كان أصل الحداء كله ... <sup>(٢)</sup> أي أنه ذكر الحداء بصيغة الجمع . حداء السلم وحداء الحرب .
- ٢- الحداء نوع من أنواع الغناء الشعبي لدى عرب الجزيرة قد اختص بالإبل وحالات الحرب والسلم، وهو السابق على الغناء كله .
- ٣- الحداء قالب غنائي بسيط التراكيب قد تطور مع الزمن ليطلق عليه عدة تسميات منها "النصب - الركبان - الركباني" <sup>(٣)</sup> .

وذلك أن معظم المراجع تذكر غناء النصب قبل ذكرها للحداء على أساس أن النصب شبيه للحداء ولكنه أرق منه كما ذكر في اللسان علاوة على أن لسان العرب ذكر النصب كما جاء بنصه فيقول : النصب ضرب من أغاني

<sup>(١)</sup> لسان العرب : مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧١٢ .

<sup>(٢)</sup> العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : مرجع سابق، ص ٤٧١ .

<sup>(٣)</sup> قصة الأنبياء في الحجاز : مرجع سابق، ص ٥٦٧ .

الأعراب ، وقد نصب الراكب نصباً إذا غنى النصب وهو غناء لهم يشبه الحداء إلا أنه أرق منه . والنصب هو غناء الركبان وهو ضرب من الألحان شبيه الحداء وقيل هو الذي أحكم من النشيد وأقيم لحنه ووزنه . ونصب الحادي حدا ضرباً من الحداء <sup>(١)</sup> .

### التأثير والتأثر في الموسيقى والغناء عند العرب :

للفنون عامة تأثير في البشر، سواء كان بالسلب أم بالإيجاب، كذلك البشر .. فلهم تأثرهم المباشر بما حولهم من أنواع الفنون أيضاً، والتأثير أو التأثير سواء كان بالسلب أم بالإيجاب يأخذ شكل المد والجزر الذي يحدد مستوى ثقافة الشعوب، ذلك بجانب مدى قوة احتكاك المجتمع بالثقافة القائمة . فإن اتخذت الدولة في سياستها الانفتاح على العالم المتحضر كان المجتمع معها منفتحاً على العالم يأخذ ما يناسبه ويترك ما يتنافى وأصول تقاليده وعاداته . وإن كانت الدولة منغلقة على نفسها أمام الاتصال بالعالم المتحضر كان المجتمع معها منغلقة على نفسه أيضاً ، أي أن التأثير والتأثر تحكم فيه سياسة الدولة من حيث سبل الاتصال بالحضارة أو الثقافة القائمة . وعلى هذا الأساس فإن الموسيقى والغناء العربي قد مرأ بمراحل عدة تتناسب وقوة اتصاله بالثقافات القائمة؛ كي يصل لما وصل إليه من رقي فني يتناسب ومستوى المجتمع العربي، فإن كان الحداء والنصب هو أصل الغناء العربي كما تناقلته معظم المراجع وكتب التاريخ، فإن الحداء والنصب قد تمخض عنهما أنواع، الأمر الذي قسم الغناء العربي إلى قسمين : نوع قد اختص بالعربي المستقر بالمدينة،

(١) لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف : الجزء السادس، ص ٤٤٣٧ .

ونوع ظل كما هو وقد اختص بالعرب الرجل وهم البدو <sup>(١)</sup> . أما عن تأثير النوع الأول وهو الذي اختص بالعربي المستقر بالمدينة، فإن ذلك التأثير يعود بأصله إلى اتصال العربي بالثقافات من حوله . منها الثقافة أو الحضارة الفارسية القائمة، التي هي من أوضح الأمم أثرًا في هذا الفن ، فقد كان ملك الفرس يرتب ندماؤه على ثلاث طبقات، وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة <sup>(٢)</sup> وأبناء الملوك أهل الحزقة بالموسيقىات والأغاني، وكانوا بإزاء هؤلاء نصب خط الاستواء، وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماؤه الملك وبطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات، وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب الونج <sup>(٣)</sup> والمعازف والطنابير، وكان لا يزمر الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين .. <sup>(٤)</sup> .

ففي مثل هذا النظام لدى الفرس يتضح مبلغ التمدن والتحضر لديهم، الأمر الذي انعكس بدوره على المجتمع الفارسي ومن ثم عرب الجزيرة الذين اتصلوا بهم وأقاموا معهم علاقات معظمها تجارية، ذلك بجانب كثرة القيان الذين أثروا بشكل عميق في أسلوب معيشة العربي وعلى الأخص المستقر منهم في المدن، ثم إن هذا الأثر قد امتد ليصل إلى شعراء العرب الذين

(١) القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٢) الأساورة : هم الفرسان .

(٣) الونج : كلمة فارسية معربة، والعرب تقول الوان بتشديد النون، وهي الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) التاج في أخلاق الملوك : أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ : الطبعة الأولى،

مطبعة فروردين سنة ١٣٧٠ هـ، ص ٧٣ .

صوروا لنا بأشعارهم مجالس اللهو والطرب، وهذا الأعشى يصف لنا أحد هذه المجالس بقوله : (١)

لنا جلسان عندها وينفسجج ويسينبر والمرزجوش منمنما  
وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحان في كل دجن تغيمما  
ومستق سينين وون ويريط بجاوبه صنج إذا ما ترنمما

ومن مفردات شعر الأعشى يتضح مدى تغلغل التأثير الفارسي في عرب الجزيرة ليس كثقافة وتحضر فقط ، بل كمفردات لغوية قد زين بها الأعشى أبياته الشعرية.

#### الأثر الرومي :

إذا كان الفرس قد أثروا في العرب كما أشار إليه الباحث سابقاً، فإن التأثير الرومي له الأثر الواضح في المجتمع العربي وعلى الأخص القيان منهم وغنائهن أيضاً، فقد كان شعراء العرب ورؤساؤهم وتجارهم يفتنون على غسان وبلاد الروم، وكان في الجزيرة العربية رقيق رومي من العبيد والإماء، ومن أمثلة هذا الأثر الرومي ما رواه حسان عن ليالي جاهليته مع جيلة بن الأيهم قال :

لقد رأيت عشر قيان : خمس روميات يغنين بالرومية بالبريط وخمساً يغنين غناء أهل الحيرة، وأهداهن إليه إياس بن قبيصة، وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها (٢).

وهكذا استمر التأثير والتأثر في الموسيقى العربية من الغناء الفارسي والرومي واليميني، حيث اقتبس الحجازيون غناءً أكثر فنية من النصب، وكان

(١) قصة الأدب في الحجاز : مرجع سابق ، ص ٥٧٢ .

(٢) القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق ، ص ١٣١ .



ذلك على يد النضر بن الحارث الموسيقي الشاعر الذي أدخل إلى الحجاز غدة ألوان جديدة متطورة استعارها من البيئات الغنائية في الحيرة، مقتفياً في ذلك أثر والده الحارث بن كلفة الذي تعلم ضرب العود بفارس واليمن ثم قدم مكة وعلمه أهلها <sup>(١)</sup>.

من هنا نستطيع القول إن تلك التأثيرات كانت تسير نحو التقدم بخطى بطيئة تتناسب وتقبل المجتمع العربي لتلك التجديدات في الغناء، ولكن بعد ظهور الإسلام وانتشاره على مستوى الجزيرة العربية، ومن ثم خروجه من نطاق الجزيرة العربية إلى خارجها بدأت بشائر النهضة الجديدة تظهر.

#### أول من غنى بالشعر العربي :

ومما تقدم حول الحداثة والنصب وما يتبعه من أنواع الغناء، يعود الباحث ويؤكد على فكرة أن هذه الأنواع من الغناء العربي ما هي إلا فنون شعبية كما ذكر الباحث سابقاً. الأمر الذي مهد الطريق لظهور نوع جديد من الغناء العربي بعد ذلك. ومما يؤيد هذه الفكرة أننا طوال بحثنا حول بدايات الغناء لم يظهر لنا من يدعي فكرة اختراع أحد أنواع القوالب الغنائية إلا مضر بن نزار، الذي اخترع الرجز مع ملاحظته للابل وهي تجد في سيرها طرباً، ثم لم يظهر لنا من أول من غنى النصب ولا أول من غنى السناد والهزج. على أن الدكتور الأسد يذكر لنا أول من غنى من الرجال نقلاً عن مخطوط حاوي

(١) المرجع السابق، ص ١٣٢.

الفنون لابن الطحان<sup>(٢٢)</sup> ، فيذكر اسم جنجور وقيل علس نو جدن وبعدهما علقمة الفحل وجذيمة بن سعد وهو المصطلق، والمصطلق هو حسن الحلق وربيعه بن حرام<sup>(٢٣)</sup> . أما من النساء فلقد اتفقت المراجع العربية على أن أول من غنت من النساء هما : الجرارتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمي<sup>(٢٤)</sup> ، حيث ركزت المراجع العربية على هاتين القينتين وأوردت لهما قصة هذا ملخصها :

نزل وفد على معاوية بن بكر بقصد طلب المساعدة لقومهم، وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان، ولما أطالوا المكوث استحى معاوية تذكيرهم بما جاءوا من أجله، فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتتين . فقالتا قل شعراً تعنيهم به لا يدرون من قاله، فأنشد معاوية هذه الأبيات :

ألا يا قِيل ويحك قم فهينهم لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أرض عاد إن عاد قد أمسوا لا يبينون الكلاما

فلما غنت الجرادتان هذا الشعر، سمع القوم ما غنتا به، فقال بعضهم لبعض: إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم<sup>(٢٥)</sup> .

<sup>(٢٢)</sup> محمد بن الحسن أبو الحسن المعروف بابن الطحان توفي بعد ١٠٥٧ م : موسيقى مصري من كبار الملحنين، كان أكثر الألحان المصرية في عصره من صنفته . الأعلام الجزء السادس ص ٨٤ .

<sup>(٢٣)</sup> القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق، ص ٩٩ .

<sup>(٢٤)</sup> مروج الذهب : مرجع سابق ، الجزء الرابع ص ١٣٣ .

<sup>(٢٥)</sup> الكامل في التاريخ : أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني ابن الأثير : دار الفكر بيروت سنة ١٩٨٧ م : الجزء الأول، ص ٤٨ .

فمن القصة والشعر السابقين نستوحي المستوى الذي عليه فنون العصر الجاهلي، فلولا جودة الغناء والصناعة لما نسي القوم ما جاءوا لأجله . هنا يستخلص الباحث أن الجرائدين بجانب غنائهن، نجدهن أيضاً قد وضعن لحن لهذا الشعر مما يضعهن بمرتبة أعلى من مرتبة من يغني من ألحان غيره . والمراجع العربية التي تذكر الغناء في العصر الجاهلي لم توضح إن كان هناك صانعو ألحان أم لا ، وتم التركيز على ذكر المغنين والمغنيات بشكل عام، حيث أورد الدكتور الأسد في كتابه<sup>(١)</sup> ما يزيد عن الخمسة عشر قينة مع ذكر قصص لهن لا تقل تأثيراً في السامعين عن القصة السابقة، والظاهر من تلك القصص أن القينة تقوم مقام الملحن للأشعار، التي يطلب منها أن تغنيها أو أن تختار الشعر الذي يناسب المكان والمجلس الذي هي فيه .

أما أول من غنى من الرجال ، فإن أخبارهم تنتقل بنا فجأة من العصر الجاهلي إلى عصر ما بعد الإسلام، حيث ذكر التالي :

- ١- أول من غنى الغناء العربي بمكة ابن مسجح<sup>(٢)</sup> مولى بني مخزوم، وذلك أنه مر بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فنقله في شعر عربي<sup>(٣)</sup> .

(١) القيان والغناء في العصر الجاهلي : مرجع سابق ص ٧١ - ١٠١ .

(٢) سعيد بن مسجح، أبو عثمان أو أبو عيسى : مولى بني جمح : متوفى سنة ٨٥ هـ - ٧٠٤ م، الأعلام الجزء الثالث، ص ١٠١ .

(٣) الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : دار صعب بيروت، عن طبعة بولاق، الجزء الثالث، ص ٨٤ .

٢- أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس ، و"طويس لقب غلب عليه واسمه عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم وهو مولى بني مخزوم <sup>(١)</sup> .

٣- أول من عمل العود بالمدينة وغنى به سائب خاثر <sup>(٢)</sup> .

### الآلات الموسيقية في العصر الجاهلي :

#### ١ - العود :

لا يوجد مجتمع من المجتمعات ولا حضارة من الحضارات السابقة إلا وكان لآلة العود النصيب الأوفر في التعامل الموسيقي . فمنذ فجر التاريخ وهذه الآلة تذكر في مراجع التاريخ على أنها أساس التعامل النغمي في أي مجتمع، ذلك مع اختلاف مسميات أشكالها أو مشتقاتها من ثقافة لأخرى ومن مجتمع لآخر . كما أن هذا الاختلاف ينسحب أيضًا على إمكاناتها في التصنيع والنغم الذي تؤديه، فمهما تعمقنا في مجاهل التاريخ، فإن ذكرها يكون واضحًا وفي مقدمة الآلات الأخرى التي ظهرت بجانبه، فنجدها في الحضارة الفرعونية <sup>(٣)</sup> على أرض مصر، والعصر الأكادي "٢٣٥٠ - ٢١٧٠ ق م" ثم العصر البابلي "١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق م" والآشوري <sup>(٤)</sup> على أرض العراق .

<sup>(١)</sup> المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص ١٧٠ .

<sup>(٢)</sup> المرجع السابق ، الجزء السابع، ص ١٨٨ .

<sup>(٣)</sup> علم الآلات الموسيقية ، الدكتور محمود أحمد الحفني : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م : ص ٧٣ .

<sup>(٤)</sup> تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم : الدكتور صبحي أنور رشيد : المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٠م ، بيروت ، لبنان ص ٨٨ .

ولقد ناقش الدكتور صبحي <sup>(١)</sup> الآراء التي تحدثت حول بداية دخول هذه الآلة للجزيرة العربية على يد الحارث بن كلدة الذي تعلم ضرب العود بفارس حيث قال :

... إن الحيرة الواقعة جنوب الكوفة بثلاثة أميال كانت مركزاً مهماً حكمت فيه في أيام الساسانيين سلالة عربية من عرب اليمن عرفت باسم تنوخ، وإلى الحيرة أرسل بهرام جور الملك الفارسي وهو أمير ليتلقى ثقافته، فتعلم هناك الموسيقى بين المعارف العربية الأخرى، هذا وإذا كان النضر بن الحارث قد تعلم العزف على العود في بلاط الحيرة العربي فمعنى ذلك أنه نقل العود من العراق وليس من إيران "فارس"، ومن العرب وليس من الفرس .

الدكتور صبحي عندما ناقش هذا الأمر فإنه قصد بذلك أن يظهر أن للعرب ثقافة وعلمًا يتناسبان ذلك الوقت، وأن الفنون الموسيقية ذات مستوى يتناسب وثقافة العربي، ولو أنه في مكان آخر من كتابه يصرح بقوله : "... وإذا كان العرب قد تأثروا بالغناء الفارسي واقتبسوا بعض ألحانه، فإنهم لم يقتبسوا منهم العود، لأن هذه الآلة كانت معروفة في العراق خلال العصور التي سبقت ظهور الفرس <sup>(٢)</sup> . أصل العود عراقي أكدي سامي، وأقدم مشهد في العالم يشير إلى استعماله يرجع إلى العصر الأكدي ٢٣٥٠ - ٢١٧٠ ق م <sup>(٣)</sup> .

(١) الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية : الدكتور صبحي أنور رشيد : منشورات وزارة الأعلام سنة ١٩٨٥ م ، مطبعة الجمهورية : بغداد ص ٧٣ .

(٢) الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية : مرجع سابق ص ٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

ولقد كان العود من الآلات المعروفة بين مغنيات العصر الجاهلي وقيانه، حيث أطلق عليه عدة أسماء نستدل عليها من الشعر الجاهلي، فهذا امرؤ القيس يقول في المزهري أحد أسماء العود :

لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش إذا ما حركته اليدان

ويقول أيضًا في الكران وهو اسم آخر للعود :

وإن أمس مكروبًا فيا رب قينة منعمة أعملتها بكران

وقال الأعشى في البربط <sup>(١)</sup> وهو أيضًا أحد أسماء العود :

وبربطنا دائم معمل فقد كاد يقلب إسكارها

وهناك من أسمائه أيضًا الموتر والعربة <sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الصنج "الجنك - الهارب"

ولهذه الآلة ثلاثة أسماء هي الصنج "الجنك - الهارب" ، وتعد من الآلات الوترية التي احتلت مكانة راقية بين ثقافات الأمم، وحضاراتها عبر العصور المختلفة، منها العصر الجاهلي حيث ذكره الأعشى بهذا الشعر :

ترى الصنج يبكي له شجوه مخافة أن سوف يدعى بها

وقال أيضًا :

ومستجيب تخال الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل <sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> اسم فارسي من لفظين ، "بر" بمعنى صدر و "بط"، وإنما سمي بذلك لشبهه صدر البطة.

<sup>(٢)</sup> الغناء والقيان : مرجع سابق ص ١٠٧ .

<sup>(٣)</sup> المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

### ٣ - آلات النفخ المزامير

أما المزامير، فإن الأعشى يذكرها بهذا الشعر :

ومزمرنا معمل دائــــم      فأبي الثلاثة أزدى بهــــا <sup>(١)</sup>

### ٤ - آلات الطرق "الإيقاع" :

لقد تنوعت آلات الطرق الإيقاعية وتعددت بأشكالها، يتحدث الدكتور صبحي <sup>(٢)</sup> عن هذه الآلات الإيقاعية في عصر ما قبل الإسلام بقوله : أثبتت الآثار التي ظهرت في العراق وغيره من الأقطار المجاورة والقريبة، استعمال سكانها القدامى للدفوف المستديرة في عصور ما قبل الإسلام، حيث كان الدف المستدير بنوعيه الصغير والكبير الحجم معروفا في العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

وعلى هذا نجد الشعر الجاهلي يصف الدفوف بقول المعقر بن أوس البارقي ما نصه :

فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة      لنا مسمعات بالدفوف وسامر <sup>(٣)</sup>

والباحث إذ يكتفي بما ذكره من نماذج لشعر العصر الجاهلي حول الآلات المستخدمة، فإنه بذلك قد بين مدى اهتمام الجاهلي بفنونه الغنائية من خلال تلك النماذج من الشعر، الأمر الذي يعطي المتابع إحياء بأن عرب ذلك العصر لهم من الثقافة ما يجعلهم في رقي يتناسب وطبيعتهم في كيفية التعامل مع الفنون

(١) السابق : ص ١٠٨ .

(٢) الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية : مرجع سابق ص ٢٤٩ .

(٣) الغناء والقيان : مرجع سابق ص ١٠٩ .

الغنائية . إلا أن الأمر يظل غامضًا بعض الشيء من حيث الكيفية التي يتعامل معها مغني ذلك الزمان والنغم !!! فهل كانت الآلات النغمية كالعود مثلًا مكتملة النمو من حيث تعدد النغمات وطبقاته النغمية وتسوية أوتاره ... ؟ ثم ما نوع الجمل الموسيقية التي يصاغ منها اللحن ؟ .

يرجع الباحث للعديد من المراجع حول هذا الشأن استنتج الآتي :

- استعمل الدكتور الحفني التسويات الحديث لشرح طريق تسوية العود<sup>(١)</sup> .

- أما الدكتور صبحي<sup>(٢)</sup> فقد ذكر أن الآثار الإسلامية قد تركت بعض النقص في المعلومات حول العود، ولكنه أرفق بقوله إن المصادر العربية من كتب في الموسيقى والتاريخ والأدب تكمل هذا النقص، إلا أنه يعتمد على قصة زرياب<sup>(٣)</sup> وكيف أدخل تحسينات على العود من حيث زيادة الوتر الخامس وصبغه باللون الأحمر بعد ما كان بأربعة أوتار .

(١) علم الآلات الموسيقية : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٢) الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية : مرجع سابق ص ٤٢ .

(٣) هو علي بن نافع أبو الحسن، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمانه . كان شاعرًا مطبوعًا ، عالمًا ببعض الفنون ، عارفًا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء . وكان حسن الصوت وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار وكانت أوتاره أربعة. أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره، وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد، وسافر إلى الشام، ومنها إلى الأندلس وقد سبقته إليها شهرته، فركب عبد الرحمن بن الحكم الأموي بنفسه لتلقيه، واستغنى به عن عداه من الندماء والمغنيين . وهو الذي اخترع مضرب العود من قوائم النسر وكانوا يصنعونه من الخشب. الأعلام للزركلي الجزء الخامس ص ٢٨ .



- كتاب الموسيقى الكبير<sup>(١)</sup> حيث قال : ولنقل الآن في الأوضاع التي يمكن أن توضع عليها الأوتار الأربعة، وهي التسويات<sup>(٢)</sup> ، ونستعمل فيها الدساتين<sup>(٣)</sup> المشهورة التي لا تتبدل أصلاً، فإنها متى عرفت سبيلها في الأوتار الأربعة وفي الدساتين المشهورة، سهل استعمالها في الأوتار الخمسة وفي الدساتين غير المشهورة . فالوضع المشهور هو أن تجعل نغمة خنصر كل وتر مساوية لنغمة مطلق ما تحته، فيكون صياح مطلق البم<sup>(٤)</sup> نغمة سبابة المثني<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا القياس الذي ذكره الفارابي يكون تسوية أوتار عود العصر الجاهلي على المسافة الرابعة كما هو مشهور به اليوم، فعلى سبيل المثال لو كان مطلق الوتر ("لا" المثلث) فإن السبابة ستتكل باستخراج نغمة "سي بيكار"، ثم تليها نغمة "دو" ببندر اليد ثم نغمة ("ري" المثني) التي تستخرج إما من مطلق الوتر الذي تحته، أو بواسطة عقق الخنصر على وتر "لا" .

(١) الموسيقى الكبير : أبي نصر محمد بن طرخان الفارابي : تحقيق غطاس عبد الملك خشبة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ص ٥٩٧ .

(٢) التسويات : أصناف الترتيبات التي تؤخذ منها نغم مطلقات الأوتار في العود على تمديدات محدودة .

(٣) الدساتين : جمع دستان، وهي لفظ فارسي معرب، يستعمل في الموسيقى للدلالة على العلامات التي تستعرض عنق الآلات الوترية الخفيفة كالعود والطنبور وما يماثلهما لتعيين أماكن النغم التي يؤخذ عند الانتقال عليها بالأصابع، والدساتين يقال لها بالعربية عتب وأعتاب / والمصطلح عليه أن تسمى دساتين : الموسوعة الموسيقية : محمد بو ذينة : مطابع الموحدة تونس سنة ١٩٩١م ص ١٥٦ .

(٤) مطلق البم : مطلق وتر اليكاه : الصول أو ألفا أول أوتار العود من الأعلى .

(٥) سبابة المثني : النغمة المعقوفة بالسبابة من الوتر الثالث من الأعلى للعود .

والفارابي إذ استخدم الخنصر لإظهار النغمة الرابعة من أي وتر، فإنه بذلك يشرح الوضع من الناحية النظرية فقط، إذ إن استخراج النغمة الرابعة على هذا النحو، يتطلب من الناحية العملية مد الخنصر بشكل يفوق طبيعة اليد البشرية إلا إذا كان حجم الكف بالضخامة التي تستطيع الوصول إلى هذه النغمة ببسر .

ومهما كان العمق التاريخي الذي اعتمد عليه الفارابي <sup>(٣)</sup> في شرح تسويات العود، إلا أن الباحث يمكنه التوصل من خلال هذا الشرح إلى أن هذه الآلة قد استكملت عناصر استخراج النغم بشكل يعطي المتعامل معها إمكانية ما يعطيه عود هذا الزمان . وتبقى النهاية في براعة العازف على هذه الآلة وصياغته للجمل الموسيقية المعبرة ، ففي شعر لطرفة بن العبد <sup>(٤)</sup> يصور لنا أسلوب الغناء وطريقة التعبير الفني لدى إحدى قيان ذلك العصر ، فيجعلها تقبل على الغناء متمهلة مترفقة فاترة الطرف متكسرة في دلال، لا تتكلف في غنائها ولا تتنصنع وإنما تأخذ فيه عفوها؛ فينسب الغناء منها انسياباً رقيقاً فيه ترديد وترجيع وفيه تحزين وترقيق، فيبلغ بذلك من نفس السامعين مبلغاً كبيراً <sup>(٥)</sup> .

<sup>(٣)</sup> طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمر نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ : شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمانه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعب عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله المكعب شاباً . الأعلام للزركلي الجزء الثالث ص ٢٢٥ .

<sup>(٤)</sup> الغناء والقيان في العصر الجاهلي ، مرجع سابق ص ١٠٥ .

<sup>(٥)</sup> المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا  
على رسلها مطروفة لم تشدد

إذا رجعت في صوتها خلت صوتها  
تجاوب أظآر على ريع ردى

وقد شرح البغدادي <sup>(٢)</sup> البيت الأخير بقوله : إذا طربت في صوتها ورددت نغماتها، حسبت صوتها أصوات نوق تحن لهلاك ولدها، شبه صوتها بصوتهن في التحزين، ويجوز أن يكون الأظآر : النساء ، والريع مستعاراً لولد الإنسان فشبه صوتها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنواح على صبي هالك .

والباحث إذ يعلق على هذا الوصف، فإنه يستشعر من غناء هذه القينة أنها تؤدي من مقام الصبا أو الحجاز لركة هذين المقامين وعذوبة أنغامهما . كما وأن بداية الوصلة الغنائية في البيت الأول قد تكون من نوع الغناء المرسل دون إيقاع مصاحب ؛ الأمر الذي يوحي بإتقان الصنعة من حيث التعبير النغمي .

### نتائج البحث

توصل الباحث من خلال ما تقدم إلى نتائج يلخصها فيما يلي :

١- من حيث المستوى السياسي للعصر الجاهلي (فترة حكم قريش) وجد الباحث أن هذه الفترة تميزت بحنكة سياسية تمثلت في سيطرة زعماء قبيلة قريش على زمام الأمور من حيث تسيير شئون المجتمع الحجازي وتنظيمه.

٢- من حيث المستوى الثقافي، فقد توصل الباحث إلى قناعة بأن عرب الجزيرة منقسمون إلى مجتمعين :

- مجتمع ظل متمسك بعاداته وتقاليده وهم العرب الرحل (البدو) .
- مجتمع متحضر قد أخذ من ثقافة ذلك الزمن وحضارته ما يناسبه؛ نتيجة اتصاله بالثقافة الفارسية والرومانية القائمة آنذاك .

٣- من حيث أنواع الفنون الغنائية، فإن الباحث قد توصل إلى أن الحدااء أصل الغناء العربي، وقد تمخض عنه أنواع أخرى هي (النصب – السناد – الهزج) إلا أن الحدااء قد ظل فناً شعبياً مع إطلاق هذه التسمية في بعض الأحيان لتعبر عن معنى كلمة الغناء .

٤- العبيد والإماء من الجنسيات الأجنبية المختلفة كانت لهم يد في إدخال بعض العادات على العرب، وكان الغناء على رأس هذه التغييرات .

٥- من حيث الآلات الموسيقية قد اشتهرت آلة العود وآلات الإيقاع وآلات النفخ، وقد رافقت الغناء بشكل ينم عن حرفة ودراية في كيفية استخدام إمكانيات هذه الآلات .

٦- من حيث الغناء فقد أورد الباحث مقاطع من الشعر تظهر إمكانيات المغنية في كيفية التعبير عن المواقف المختلفة .

## المراجع

- ١- أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٧٤م .
- ٢- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، دار صعب ، بيروت، عن طبعة بولاق .
- ٣- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة التقدم .
- ٤- الأغاني الكويتية ، يوسف فرحان دوخي، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية سنة ١٩٨٤م .
- ٥- الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، أنور رشيد، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد سنة ١٩٨٥م .
- ٦- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٧٨م .
- ٧- التاج في أخلاق الملوك، أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، مطبعة فروردين سنة ١٣٧٠هـ .
- ٨- العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٧٩م .
- ٩- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- ١٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، منشورات دار ومكتبة الهلال سنة ٢٠٠٢ م .
- ١١- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر، سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٢- القيان والغناء في العصر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، الناشر دار المعارف، مصر سنة ١٩٦٨ م .
- ١٣- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن الأثير، دار الفكر، بيروت سنة ١٩٨٧ م .
- ١٤- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الإشبيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٩٥٢ م .
- ١٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، الناشر مكتبة النهضة، بغداد سنة ١٩٨٠ م .
- ١٦- الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة .
- ١٧- تاريخ أداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مطابع دار الهلال، مصر سنة ١٩٥٧ م .
- ١٨- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤ م .

- ١٩- تاريخ الآلات الموسيقية، محمود أحمد الحفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠م .
- ٢٠- علم الآلات الموسيقية، محمود أحمد الحفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م .
- ٢١- علم الفولكلور، محمد الجوهري، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٧٨م .
- ٢٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان سنة ١٩٨٧م .
- ٢٣- قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، عبد الله عبد الجبار، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٢٤- قصة الحضارة، وول ديورانت ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، الطبعة الأولى بيروت، سنة ١٩٨٨م .
- ٢٥- مروج الذهب ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٨م .
- ٢٦- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩م .



### المعاجم والقواميس

- ١- الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي ، دار الملايين، بيروت سنة ١٩٨٩م .
- ٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد سعيد اللحام، دار المعرفة، بيروت سنة ٢٠٠٣م .
- ٣- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨١م .
- ٤- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف ، مصر .
- ٥- معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٩٧٩م .
- ٦- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٥م .

